العدد ٦٨٨ — ثمن العدد ثلاثة غروش سورية — السنة السابعة



بيروت	الاربعا في ٧ اذار سنة ١٩٢٨	الاشتراك	ثمانون غرشاً ذهباً في سوريا ولبنان سبعة دولارات في الخارج	الادارة	خان انطون بك تلفون ٣ — ١٦



اسبوع في دمشق

— ١ —

.. واخيراً وصلنا دمشق

وصلناها في القطار السلحفاة ، وقد كتب على مقدمه «العجلة من الشيطان» وصلناها بعد جهاد عنيف بين جبال الثلوج وزوابع الاهوية ، وكانت السماء تمطرنا طوال الطريق برشاش ثلجها الابيض الناعم الذي كان يتلبد امامنا ويكسي السهل والجبل ثوباً ناصعاً فيترك بياضه في الافق نوراً لطيفاً رغم تكاثف الغيوم . فكنا والحق يقال نسير الى دمشق في ظلمة بيضاء

واما البرد فقد كان قاسياً جداً حتى ان كل معدات التدفئة من معاطف وعباءات وحرامات «وكونياك» لم تكن قادرة ان تمنع تغلغله في الاجسام حتى العظام

وكنا عندما نفتح للهواء احدى نوافذ مقصورتنا في القطار تهاجمنا رقاع الثلج مهاجمة هوجاء فتتساقط علينا دراكاً ونصبح في دقيقة كأننا خارجون من طاحون .

الطريق طويل وممل لولا اننا كنا رفقة لا تعرف للملل معنى ، احاديث ونكات وسياسة وشعر وجوع واكل . وكلنا ، من المبعدين العائدين الى الصحافيين اللبنانيين ، رفاق سمر واخوان صفاء .. ألم يجن علينا جميعاً هذا اللسان ؟ .. فهو سلاحنا القوي وخصمنا اللدود في آن واحد

...

قلنا : اننا وصلنا الى دمشق بعد ان حيا المبعدين العائدين في محطة دمر فريق من شبان دمشق وتلامذة مدارسها العالية وقد جاءوا بالسيارات يحملون زهور الغوطة وتحية بردى الى زعمائهم المجاهدين . وكان يواكب القطار رتل من السيارات الى ان وصل الى محطة البرامكة فاذا هناك الجماهير قد صبرت من الظهر حتى المساء على البرد والشتاء لتحيي المعتقلين ساعة وصولهم الى عاصمة الامويين

— ليحي احرار سوريا ! لتحي صحافة لبنان !

هكذا كانت تتعالى اصوات الجماهير وجلهم من الشبان والطلاب

بمناسبة تعطيل لاسيري



— نحن والبلاد في راحة الى ١٥ يوماً على الاقل ...

وبعد حفلة المحطة سارت بنا السيارات الى النزل وسارت بالمعتقلين الى منازلهم

وبقيت وفود الزائرين تتوالى نهاراً وليلاً ثلاثة ايام

كان قطارنا اخر قطار ترك بيروت الى دمشق قبل انقطاع الطريق لذلك اضطررنا ان نبقى محصورين — ولكنه حصار لذيذ — تسعة ايام بلياليها في العاصمة السورية

وفي كل هذه المدة تزاحم البرد القارس وكرم الاخلاق الدمشقيين علينا فكنا كلما هز اجسامنا البرد الاليم هز ارواحنا ايضاً كرم ضيافة الاخوان من رئيس الحكومة الجديد الى « فتيان الجزيرة » وهم ابعد الغلاة الوطنيين في القومية العربية

واننا ، ونحن نكتب هذه الكلمة نشعر شعوراً صميماً بما طوق به الاخوان في دمشق عاطل جيدنا من حسن الرعاية ومكارم الاخلاق حتى اننا نخجل ان نقابله بكلمة شكر لكي لا نجرح عاطفتهم بها

ثم ننتقل بالقاريء من وصف اسبوعنا في دمشق الى درس الحالة الروحية والسياسية في العاصمة السوريه

...

في دمشق اليوم هدنة مبهمة المعاني حتى ان اقدر الحاذقين في السياسة السورية واشد المشتغلين بها لا يعرف كيف يحدد موقفه ولا يقدر ان يحكم على الموقف العام .

نعم هدنة ! ولكنها مشبعة بروح ميالة — على نوع ما — الى العمل والتعاون على شرط ان يكون المجال حراً امام الجميع .

ورغم هذه الروح التي تتغلب على الجو الدمشقي اليوم فانك تلمس التردد والحذر عند الجميع . وان التجارب الكثيرة والدروس الماضية الاليمة والوعود العديدة التي لم تحقق ، قد ولدت في السوريين روح هذا التردد الذي يجعلهم — رغم طبيعتهم — اقرب الى التشاؤم منهم الى التفاؤل .

وهذا الامر المؤسف هو وليد خطيئات الادارة الماضية التي ظلت تتوالى الى اليوم والتي يريد بعض عمال الانتداب ، الذين لا يعرفون مصلحة الانتداب الحقيقية ، ان يتابعوها رغم الاحتجاجات المتوالية عليها ورغم ما ولدته لدولتهم من المشاكل والمصاعب والخسائر ايضاً في بلاد كانت اقرب بلاد الارض الى التفاهم مع فرنسا والعمل يداً بيد مع رجالها

ان هذه الفئة من عمال الانتداب هي التي تضر فرنسا في سوريا ولبنان اكثر من الحروب واكثر من الثورات بل هي التي نشرت في الصدور جراثيم البغض والضغينة اكثر مما نشرتها خرائب الميدان والشاغور والغوطة .

ولكن الروح الجديدة التي ظهرت في سياسة المسيو بونسو الاخيرة كانت كبارق من الامل ظهر ضعيفاً في جو حسن التفاهم والتعاون واذا ارادت فرنسا واراد السوريون المخلصون ان يروا هذا البارق من النور قوياً فعليهم ان يسيروا اليه بروح الثقة والاخلاص والحرية .

لا نتكلم عن الفئة المتطرفة المتعنتة التي اصبح النفور عندها من الحالة داء مزمناً بل نتكلم عن الوطنيين الذين يشعرون بمسؤولية العمل . والمعتقلون العائدون في طليعتهم

وسنبحث في مقالاتنا القادمة هذه المواقف المختلفة في دمشق على تعددها مع ما يعن لنا حولها من الملاحظات

فالى العدد القادم

المتآمرون على الانتخاب

لم يمر في خلدنا ، حتى في اقصى ساعات التشاؤم واليأس ، ان يقوم في هذه المدينة من يحارب حق الامة في الانتخاب مؤيداً ، مبدأ هيئات معينة ، مطالباً باستمرارها في تولي مهمتها الاستثنائية حتى بعد اجراء الانتخاب العام للمجالس البلدية في طول الجمهورية وعرضها

والاغرب من ذلك ان يدعي اولئك الناس بانهم من خلص انصار الحكم الجمهوري ، ومن اظهر مؤيديه

فكيف يوفقون بين محاربتهم لحق الامة الصريح في الانتخاب وبين تأييدهم للمبدأ الجمهوري ؟

ومما يزيد في اسفنا ان يكون بعض النواب المنتخبين قد اخذوا بحبائل هذه النظرية ، وقبلوا ان يتولوا الاقتراح في اول جلسة يعقدها المجلس لتأجيل الانتخابات البلدية في مدن بيروت وطرابلس وصيدا

ولماذا ؟

لان بعضهم يمت الى بعض اعضاء المجالس البلدية في هذه المدن بصداقة او نسب !!

وما هي حجتهم ؟

انها تقتصر على ان الانتخابات لا تسفر غالباً الا عن حمل نفر من غير الاكفاء الى كراسي التمثيل . وان التجارب اظهرت افضلية المجالس البلدية المعينة على المجالس المنتخبة

لو دقق قليلاً اصحاب تلك البدعة في اسباب ذلك الفرق بين المنتخبين والمعينين ، لعرفوا ان تقاعد الاكفاء عن خوض ميادين الانتخابات ، وابتعادهم عن تحمل كل مشقة في ذلك السبيل ، هو السبب في وصول غير الاكفاء الى المقاعد البلدية وسواها

وشاهدنا على صحة هذا القول مجلس النواب نفسه ففي اليوم الذي اصبح اهالي بيروت مثلاً يرون نوابهم الحاليين مقدمين الى ميدان الترشيح ، اعرضوا بتاتاً عن انتخاب غيرهم لتمثيلهم في مجلس الامة .

ومن المؤسف جداً ان تعطي المدن الساحلية الكبرى هذا المثل الى سائر المدن والقرى اللبنانية المتمسكة بحقها في الانتخاب .

واشد ما يؤلمنا ان تكون الحكومة ، بعد ان دعت الناخبين والمرشحين الى مواعيد الانتخاب الرسمية وبعد ان علقت الاعلانات في الساحات العمومية بشأن هذه الدعوة ، تتقهقر في آخر ساعة عن رأيها ، وتقتنع باقوال بعض اصحاب المصلحة المرتبطين ببعض اركانها او ببعض النواب ، وتعد بعض النواب بمشروع يتضمن قرارها بتأجيل الانتخاب في العاصمة والمدينتين الساحليتين .

اننا لا نتمالك امام هذه النتيجة التي وصلت الينا ونحن نخط هذه العجالة ، من اظهار دهشتنا واسفنا العظيمين ، خاصة بعد ان بلغنا من مصدر لا نشك بصحة اخباره ، ان حضرة الاستاذ دباس رئيس الجمهورية ، اجاب منذ يومين بعض النواب المدعوين الى الطعام على مائدته عندما باحثوه في هذه القضية ، بأنه يقبح مبدأ التعيين ، ورد الاقتراح بشأنه الى اصحابه لان النظام الجمهوري الذي طلبته البلاد يقدس حق الاهالي في الانتخاب ، ولا يتفق مطلقاً مع مبدأ التعيين . الى ان قال : والحكومة التي قررت اجراء الانتخاب وضربت مواعيده ، ستمضي في عملها ، وستنفذ قرارها . اما المرتشون في الانتخابات فسيعاقبون بأشد صرامة .» كذا

اجل اننا لا نتمالك عن اظهار شديد أسفنا ، عند المقابلة بين هذه التصريحات وبين مشروع بعض النواب الاخير القاضي بتأجيل الانتخابات في البلديات الثلاث لاننا نعتبر ، اذا صدق هذا المشروع غداً ، بان الحكومة

وبجلس النواب قد قصرا في واجبهما، وهدما بايديهما اركان نفوذها وهيبتهما.

وكيف لا نجاهر بهذا الاسف، ونحن نرى ان كل عمل أساسي تتعلق به مصلحة الجمهور، ينحر نحراً على مذبح التخيل الفاسد والعنعنات الوهمية.

ان تراجع الحكومة عن ميادين الانتخاب هو العجز بعينه وهو التقصير بذاته!

ان بلدية كبلدية طرابلس، بلغت الشكوى منها عنان السماء، وختمت صناديقها واوراقها ودفاترها بالشمع الاحمر لتفتيشها، لا يصح ولا يجوز، ولا يعقل ان تكون من البلديات المحمية بسلطة التعين!

ان هذه البدعة، بل هذا الاستثناء، هو طعنة نجلاء يوجهها حماة النظام الجمهوري الى صميم الدستور والى صدر الجمهورية

بيروت ٥ اذار سنه ١٩٢٨

اسعد عقل

آخر ساعة

انتخاب بلدية بيروت

والانتخاب على عدم الترشيح

صح ما توقعناه فقد كان مساء الاثنين آخر موعد لتقديم الترشيح للدخول في الانتخابات البلدية ببيروت. ولم يتقدم الى ترشيح نفسه غير عدد قليل من المرشحين وهم:

عن المسلمين: الدكتور يوسف بوجي. رهيج رمضان. خليل الشيخ. احمد مختار الصلح. عمر الببابيدي. محمد المفتي

عن الموارنة: نجيب ابو عكر. فريد نعيم. فليب تيان. جبران عواد

عن الروم: سعيد ابو شهلا. فيليب الزهار. ادمون صباغ

عن الدروز والشيعه: شاهين سلمان. سليم عبد الله صعب. سامي عبد الملك. حسن علي الخليل

عن الكاثوليك: جبرائيل خباز.

عن الاقليات: وليم نعمان.

وترى في هذه الاسماء ان ليس بينها الا اسم سامي بك عبد الملك من اعضاء البلدية المعينة الحاضرة. اما الباقون فكأن اتفاقاً جرى بينهم للاعتصاب عن تقديم الترشيح. وكان بعضهم يتردد حتى منتصف الليل الى الدائرة البلدية

وظل محافظ المدينة سليم بك تقلا في مكتبه الى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل لتقبل طلبات الترشيح. اما الجاليات الاجنبية فلم يتقدم منها للترشيح الا اربعة عرفنا منهم مسيو دي فلورال ومسيو برن عن الجالية الفرنساوية. والدكتور فوتياديس عن الجالية اليونانية.

ولما كان اعضاء البلدية الحاضرة على اتفاق مع نواب بيروت فمن المرجح ان يتقدم هؤلاء النواب بمشروع قانون الى المجلس لتأجيل الانتخاب. واذا صدر التأجيل من المجلس فالحكومة لا تعارضه

وعلمنا في آخر ساعة ان حضرة الوجيه سعيد افندي ابي شهلا قد سحب ترشيحه وقرر عدم الدخول في الانتخاب

اعلم ثروت باشا رئيس مجلس الوزراء المصري اللورد لويد مفوض بريطانيا في مصر ان الوزارة المصرية رفضت قبول المعاهدة التي اقترحت بريطانيا عقدها مع مصر وقد قام الطلبة بمظاهرة ففرقهم البوليس ووقع عدة جرحى.

فتحت اخيراً طريق القطار بين بيروت ودمشق

بلا عنوان

يتولى استسلام الثوار في دمشق وضواحيها بعد اعلان العفو العام

صلى الشيخ تاج الدين صلاة الجمعة في جامع الدقاق بالميدان وتفقد خرائبه واحياءه وهو مهتم جد الاهتمام بالمشاريع الاصلاحية والعمرانية في هذا الحي الكبير

ترجح صحف دمشق ان اهم اسباب قدوم الشيخ تاج الدين الى بيروت العمل مع المفوض السامي لتوسيع نطاق العفو العام وتمديد مدة قبول الاستسلام وسيتباحث مع المفوضية ايضاً بمسألة الانتخابات القادمة

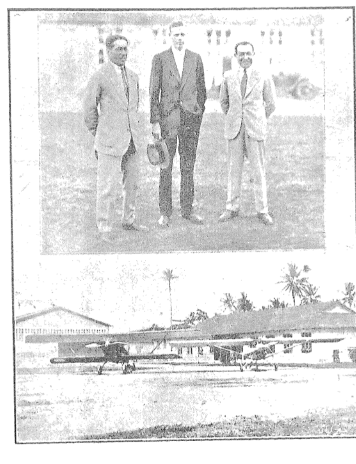
وافقت وزارة الخارجية الفرنساوية على تأسيس وكالة سورية لبنانية في باريس تعهد امورها الى المسيو بير اليب

المعرض — اي شأن للبنان وسوريا بهذه الوكالة وهي بادارة المسيو اليب ؟؟

اقام رئيس الجمهورية اللبنانية مائدة افطار شائقة في دائرة الرئاسة بمناسبة رمضان المبارك لعدد كبير من اعيان المسلمين وادبائهم

قرر مجلس الوزراء في باريس ان يكون يوم ٢٢ نيسان القادم موعد للشروع بالانتخابات النيابية.

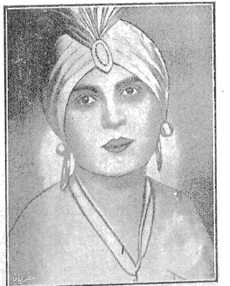
اقامت الحكومة اللبنانية دعوى على رصيفتنا الجوائب لانها اصدرت ملحقاً بعد التعطيل انتقدت فيه الحكومة وقد تعين ٨ الجاري موعداً للمحاكمة وسيدافع عن الرصيفة الاساتذة نمور ونصار وتقي الدين.



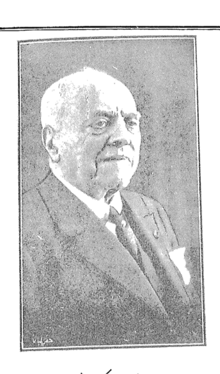
ابطال الجو

وصل الطياران الفرنساويان كوست وليبري – اللذان قطعا الباسفيكي – الى نيويورك بعد ان طارا فوق اميركا الجنوبية واميركا الشمالية وقد استقبلهما في مطار واشنطون بطل الاوقيانوس الطيار لندنبرغ . وهذا الرسم يمثل ابطال الجو الثلاثة : ليبري ، فلندنبرغ ، وكوست « فوق » ويمثل الطيارتين التاريخيتين الاولى : « روح القديس لويس » وهي طيارة لندنبرغ . والثانية « نتجيسر وكولي » وهي طيارة كوست وليبري .

نبية القرن العشرين



ظهرت اخيراً في اوربا الوسطى سيدة هندية جميلة اسمها ليلى هانم تدعي انها تستطيع التنبؤ بما تخبئه الغد من الحوادث وهي تزعم انها تنبأت قبل الحرب العظمى بزوال عرش آل هبسبرج وبمقتل القيصر نقولا الثاني وقد تنبأت اخيراً بان اكبر سياسي بولندي سيموت في اواخر شهر شباط ثم تعقب وفاته ثورة كبيرة وبان الامير كارول سينادي به ملكا على رومانيا وبأنه ستقع في روسيا ثورة . ويعود الغراندوق سيزيل الى عرش أسرته وبأن كفة الشعوب الصفراء سترجح على غيرها في خلال خمس واربعين سنة



المسيو كونياك

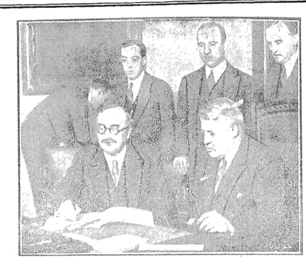
احد ملوك التجارة والمال في فرنسا الذي مات مؤخراً وهو مشهور كثيراً بجوائزه الكبرى في سبيل الادب والعلم والانسانية

في رياض الشعر

هل تذكرين ...؟

للجورج افندي عساف

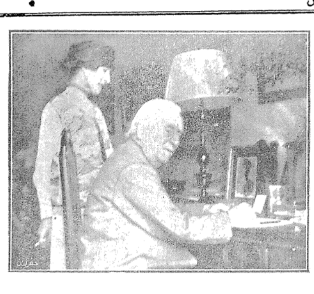
ايام كنا والهوى
يملي عليك وتكتبين
والحب يفتح سفره
للعاشقين وتقراءين
هل تذكرين
...
ما مر من ايامنا
متناثراً بين الكروم
ما طار من احلامنا
متصاعداً نحو النجوم
ما قيل فينا في الثرى
حسداً ونحن على الغيوم
حيث الحياة تصور
والعمر مهجة شاعر
والحب يصعدنا فنصـ
ـعد في جناحي طائر
هل تذكرين



توقيع المعاهدة الفرنساوية الاميركية

وقعت اخيراً المعاهدة لمنع الحروب بين فرنسا والولايات المتحدة وبمناسبة هذا التوقيع انير المشعل الكبير الذي يحمله تمثال الحرية العظيم على مدخل نيويورك وهي المرة الثانية التي ينار فيها هذا المشعل من يوم وضع التمثال الذي هو ايضاً هدية فرنسا الى اميركا .

الجالسان هما : « عن اليمين » المستر دوبرت اولدس وكيل وزارة الخارجية في واشنطون « وعن اليسار » المسيو بول كلودل سفير فرنسا في واشنطون .



الفيكونت اسكويث وزوجته

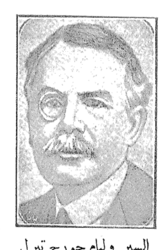
نشرنا في العدد الفائت رسماً للفيكونت اسكويث احد رؤساء الوزارة الانكليزية الذي توفي مؤخراً وها نحن ننشر رسمه الان مع زوجته ، وهي اللادي مرغريت اسكويث صاحبة المذكرات التى نشرت عام ١٩٢٠ وفيها اشياء وحوادث كثيرة عائلية تتعلق بها وبحوادثها الغرامية ، وقيل انها نشرت هذه المذكرات نكاية بزوجها .

...

الهجر من بعد الرضى
ثم الرضى بعد العتاب
اللعب في عهد الصبى
واللهو في عهد الشباب
نسعى الى الآمال ما
ء وهي في الوادي سراب
ذاك الغرور بعينه
يا حبذا ذاك الغرور
فتشت عنه حينما
بدت الحقيقة بالسفور
هل تذكرين

...

في الروض اول قبلة
مثل السلافة ذقتها
ضن الحياء بها ء
لي تكرماً ... فسرقتها
يا هند تلك صبابتي
في وجنتيك ارقتها
ورجعت مكتفياً بما
ضمت يدي وجنى فمي



السير وليام جورج تيرل

احد كبار رجال السياسة الانكليزية الذي عين سفيراً لانكلترا في باريس مكان المركيز كروالمستقيل

وتركت في شفتيك بعد
السرقة الكبرى دمي
هل تذكرين

...

حولت همك نحو عصفور
على المرج درج
وصرفت ذهنك نحو مع
نى عن هوى الصب خرج
ولفت عينك عن فم
عرف الخديعة فاختلج
حتى اذا العنق انحنى
نحوي وساعدني القدر
ادنيت من شفتيك قلباً
ذاب شوقاً واستعر
هل تذكرين

...

وهمست دون هواه يا
ثغري لك الاذن اصطبح
فهوى على ما رق من
مثل الزجاجة .. واصطبح
خل الملام ، نصحته
من قبل ذاك وما انتصح
شاقته عندك لثمة
تغري الحبيس فناها
وتعجلته لفظة
دلفت اليه فقالها
هل تذكرين

...

والحب مثل الطفل يطلب
ما عليه قد عصي
فاذا نهاه مرشد
عما يضر به عصا
كم مرة نهنهته
عن غيه فتربصا
حتى اذا ما سام مني الضعف حاد عن الهدى
وعدا الرشاد وساقني
بجنونه نحو الردى
هل تذكرين

...

وخطفتها بكراً كما
خطف الحبارى الباشق
يا هند يقنص هكذا
قبل الحسان العاشق
عزت على ثغر الجبان
وفاز فيها السارق
لا تظهري غضبي علي
فتحت غضبتك الرضى
واذا استطعت تذكري
بين الخمائل ما مضى

صحافي يرشح نفسه

للعضوية البلدية

علمنا ان الزميل جبرائيل افندي خباز صاحب جريدة الاوريان قد رشح نفسه في مدينة بيروت عضوية المجلس البلدي في الانتخابات التي ستجري لوم ١٥ الجاري

فندعو للزميل بالفوز ويسرنا منه هذا الاقدام على ترشيح نفسه لانه جاء اوضح حجة على اقتناعه بفساد نظرية التعين التي طالما عاضدها على صفحات جريدته وفضلها على النظام الانتخابي

اقام طلاب الحقوق بدمشق حفلة تكريمية كبرى للاستاذين فارس بك الخوري وفوزي بك الغزي بمناسبة عودتهما من الاعتقال

رواية العدد

لن تكون قاتلا

... كان ذلك البيت نظيفاً ووضيعاً . والفصل فصل الشتاء . وكانت الليلة التي وقعت فيها هذه الحادثة ممطرة شديدة العواصف ، والوالدة العجوز منهمكة باعمالها ، وشعرها الابيض يبدو على مقربة من النور كانه موشح بهالة من الذهب . غير انها كانت بين حين وآخر تنقطع عن عملها وتغوص في تأملاتها وعلى وجهها امارات الحزن وانكسار الخاطر ... فبماذا كانت تفكر ؟ باي شيء تستطيع الام ان تفكر هذا التفكير؟ بمن تفكر ان لم يكن بابنها ؟ بلى : بابنها ! اين يكون ولدها يا ترى في تلك الساعة ؟ هل مات ؟ هل هو حي ؟ أيشتغل ؟ أفي راحة هو ؟ هل تزوج والف عائلة ؟ كلا ! لا شيء من هذا . هو سجين هنالك ، في مستشفى المجانين !

منذ سنتين اخذوا منها ابنها ، وقد كانت في تلك الليلة ، كما كانت في جميع ليالي وحدتها الطويلة تستعيد ذكريات ولدها الطفل ، ولدها الفتى الصالح ، ولدها المحب الحنون ...

وكانت العاصفة اذ ذاك في اشتداد فالتفتت الام وتطلعت من وراء زجاج النافذة واذا بها ترى شبح رجل قادم نحو البيت فتفرست به واذا هو لابس ثوب حارس فارتعدت جميع مفاصلها لرؤيته واقفاً قرب النافذة ، وقالت له بصوت مرتجف لا يكاد يسمع :

— ادخل

دخل الحارس وهو طائر النظرات وشديد الحذر . ودعته الى الجلوس فأبى وظل صامتاً عابساً يتلفت حواليه كمن يبحث عن احد . واذ لم ير غير العجوز هدأ روعه وقال لها :

— ارسلني مدير المستشفى وعلي ان اقوم بما عهد به الي ...

— هل مات ؟

— كلا ! لقد هرب !

فجمدت شفتا الام . وودت ان تتكلم فلم يخرج من بينهما غير صوت ابح كصوت المختنق . واخيراً قويت على موجة الحزن المحتقن في صدرها وصاحت:

— ولدي !

وتابع الحارس كلامه قائلاً :

— وقد اشتدت حالته جداً وسنحت له فرصة غافل الخفراء اثناءها وفر من المستشفى

فتمتمت الام قائلة بصوت كالزفرة المحرقة:

— ليتني استطيع ان اجعله بجانبي ... ربما ...

— في حالة كهذه يجب علينا ان ننذر والدة المريض اذ قد يعود الى بيته .

فتنهدت الام قائلة : واولداه المسكين ! ثم تمثل في ذهنها بوضوح غريب مشهد انفصاله المؤلم عنها كما تمثلت لها صورته الحلوة — صورة الابن — بشعره المتناثر فوق جبينه الذي طالما داعبته وقبلته . تذكرت عينيه — عيني ابنها — اللتين انطفأ منهما نور العقل الى الابد ، ذلك النور الذي طالما ما دارته وحرصت عليه في بيتها الهنيء حينما كان وحيدها لا يزال طفلاً غض الجسم مورد الوجنتين . واستعادت في ذاكرتها ركضها وراء السيارة التي حملته صارخة بين الدموع والزفرات :

— تمهلوا في اخذه !... تمهلوا في السير به ! لا تؤذوه ! ... كم هو صالح !... آه ! خذوني ابضاً معه ! اريد ان اعيش واياه ؟ انا ايضاً مجنونة ! خذوني !» هكذا كانت تصيح اذ ايقنت انها مائتة حينما ذهب ابنها دون ان يودعها ، دون ان يعرفها ...

ولكن ها هو صوت الحارس يعيدها الى عالم الحقيقة اذ يقول لها :

— من الضرورة ان تكوني على حذر . ان ابنك مجنون رهيب شديد الخطر

— ابني شديد الخطر ! كلا ! معاذ الله! ان ابني الحبيب خوان لن يسيء الى امه . لا .. هذا مستحيل

— تذكري ان المجانين لا يعرفون احداً حينما يثور جنونهم .. لا يعرفون احداً حتى التي حملتهم في احشائها

— وماذا تريد مني الان ؟

— اذا عاد ابنك الى هنا فاشعرينا حالاً . لقد فتشنا عنه كثيراً وكبسنا عدة اماكن فلم نعثر له على اثر . فمن اجل نفسك اوصيك بان تحترسي ..

ثم ودعها الحارس وخرج وهي منصتة الى صوت خطاه حتى ابتعد ولم تعد تسمع شيئاً . وحينما غمر الصمت والسكون ذلك البيت مرة اخرى دنت العجوز المرتجفة من صورة ابنها المعلقة على الجدار وهي تبتهل امامها قائلة :

تعال الي ! انني اعلم كيف اخبئك ! اعرف كيف اداريك واشفيك !.. ثم توقفت فجأة اذ عن لها خاطر رهيب جمدت له في مكانها وهي تقول في نفسها :

ـ واذا كان الجنون قد قاده الى الموت ؟ اذا ..

وفي تلك الساعة زمجر الرعد وزادت العاصفة اشتداداً وتكاثف سقوط الثلج وهي تنظر الى ذلك من وراء الزجاج فارتعدت مرة اخرى مذعورة والهة كأن الافعى دبت في جسمها وطفقت خيالات الشك والخوف تتناهب افكارها وهي تقول متمتمة باكية

ـ اين هو الان ؟ اين انت ؟ هل وجدت سقفاً يأويك او جداراً يقيك من العاصفة ؟ واولداه ! من سلبك عقلك ؟ لماذا سلبوك حنان امك ؟ وانت يا الهي الذي اعطيتني اياه لماذا تجسمت تاماً في دماغه السقيم

ثم طفقت الوالدة تتنهد وتزفر وتصيح ، شاهقة شارقة بدموعها ، وعظام ظهرها المحدوب تكاد تنقصف تحت ثقل الحقيقة التى اتصلت بحسها وهي تنادي :

ـ ولدي ! كيف استطيع ان ارتضي واذعن لتلك الارادة وانا اتمثلك ضائعاً في قلب عاصفة من الثلج ؟ انت الذي كنت تتقي البرد دائماً ! هل انت في وقاية من اهوال الطبيعة الثائرة ؟ كم انت تتألم وتعاني ! تعال تعال الى بين ذراعي ! رده الي يا الهي !

وبين النواح والنحيب طفقت تمر ساعات الليل الطويلة الخالدة التي لا تنتهي . وحينما برزت خيوط الفجر الاولى كانت العجوز لا تزال مستيقظة لم يغمض لها جفن ، عيناها متورمتان من الدموع ، صفراء ، مريضة، يائسة

وفي تلك الساعة احست بقشعريرة شديدة ، احست بدبيب حقد يسري في عروقها وعاطفة تهديد وانتقام تحرك يديها ... ثم طرق سمعها صوت زفرة شديدة آتية من الخارج فوجمت والرعب يملأ نفسها : يملأ نفسها ذلك النوع من الرعب الذي يرتجف له نور الامل الضعيف كما ترتجف النجمة المحتضرة في سماء متلبدة بالغيوم

فانصتت بجزع مضنك وهي تقول في نفسها : هل هو يا ترى ؟ كلا . كان ما سمعته وقع خطى احد المارة وهو مبكر الى عمله يصفر باغنية قروية . وبعد ان تحققت ذلك الصوت عادت الخيالات المريبة تمر امام عينيها تمثل لها ابنها المجنون ضائعاً في قلب العاصفة وخيل اليها انها ترى عينيه متسعتين تحملقان بها ويديه اللتين طالما داعبتهما تمتدان نحوها ناقمتين مهددتين ... فصاحت دون ان تعي ما تقول : لا ! لا تقتل امك يا ولدي !

...

ولم تكد تنتهي من تلك الابتهالة حتى سمعت صوت قهقهة عالية ، قهقهة مخيفة تدوي في قلب ذلك السكون : هو ابنها خوان يعس تائهاً حول البيت يبحث عن مدخله ليأوي اليه ! فاوشكت العجوز ان تصرخ صوتاً مندفعاً من اعماق قلبها ولكنها تمالكت خشية ان يوقظ صوتها الجوار كله ويكون في صرختها هلاك ابنها فاختنق صوتها محبوساً في حلقها رغم كل ما فيه من الالم

وارهفت سمعها مرة اخرى وهي تسائل نفسها : هل كان ذلك خيالاً ؟ هل كان طيفاً ارتها اياه عينها لشدة رغبتها في ان ترى ابنها ؟

ومرت الساعات وهي على الامهات مبهظة بطيئة قاسية . مرت والعجوز لا تفتأ محدقة الى الخارج حتى لاح لها ذلك الخيال المخيف مرة اخرى واستولى الجزع على نفسها باشد من ذي قبل فاسرعت الى النافذة واغلقتها لكي تبعد عن عينيها ما تمثلان لها ، وظلت تغالب عاطفة الخوف التي كادت تذهب بعقلها .. حتى حل الظلام

وحل الظلام فكانت ليلة معتمة ، لا نجوم فيها فبدأت اجفان العجوز وهي جالسة الى الموقد تثقل من النعاس وتنطبق على بعضها عنوة

وبينما هي كذلك سمعت الباب يقرع بضربة قوية نعم كانت ضربة عنيفة . فنهضت العجوز واقفة كأن قوة خفية جذبتها وشقت دفتي الباب قليلاً وهي تحاول ان تخترق بعينيها المنهكتين قلب الظلام المدلهم واذ رات ما رات امامها قالت :

— هذا انت يا خوان ؟

فلم تلق العجوز جواباً غير زفرة قوية ولهاث شديد كزفرة حيوان هائج ، كلهاث طريدة يتعقبها الصياد فتسرع امامه الى مدخل مغارتها لاجئة من شره وناقمة عليه . وكانت تلك الطريدة الخائفة ، اللاجئة ، الهائجة ، الناقمة ابنها خوان المجنون

ترددت الام في فتح الباب . فلماذا ترددت ؟ لماذا لم تفتح الباب ومن خلفه ابنها الحبيب , فلذة من كبدها ، كتلة دم من دمها ، يلهث وينتظر ؟ لماذا ايبسها الخوف ومنعها من الاتيان باقل حركة وهي وراء تلك الدفة الخشبية التي تفصلها عن ولد حملته في احشائها ، عن ذلك الابن الذي كانت تناديه متوسلة توسلاً منذ ساعات قليلة ؟ هل كان يحول دون حركتها خوفها من مأساة تنذرها بها نفسها ؟ هل كان ذلك صدى كلمات الحارس التحذيرية يرن في اعماق حسها تلك الساعة وينصح لها بالحذر والتزام الحيطة « من اجل نفسها » ؟

ظلت تلك الام التعسة صابرة وبودها ان تكون قوية ، قوية جداً تستطيع ان تتغلب بقوة ذراعيها على معبودها الهائج امامها والمملوءة طلعته عليها بالخطر ، وبعد قليل تراجعت بسرعة ماشية على اطراف قدميها نحو خزانة عتيقة فاخرجت منها مسدساً وقومت زناده بينما كان باب الغرفة يتزعزع تحت ضربات يد قوية . فادخلت العجوز المفتاح في القفل وفتحته قائلة بحنو :

— تعال يا خوان ! تعال يا كنزي الثمين ! تعال الي ! هل اساءوا اليك ؟ انا اشفيك ...

وظلت تتابع كلمات الحنان العذبة الكلمات التي لا يعرف ان ينطق بها غير فم الوالدة ، ويدها اليمنى وراء ظهرها ممسكة بالمسدس تخفيه كما تخفي عاراً تخجل من اظهاره

فاندفع المجنون الى الغرفة كالحيوان الطريد ، كالحيوان الجائع ، كالحيوان الهائج على فريسة ، كالحيوان الظمآن الى شرب الدم . ولكن قبل ان يتمكن من الوثوب على امه قاصداً خنقها بين ذراعيه الحديديتين سمع الوجود صوتاً عذباً يصيح :

— كلا يا ابني ! لا ! لن تكون قاتلاً !

وفي تلك اللحظة لمع برق في داخل الغرفة وسمع صوت رصاص شديد هز جدرانها الاربعة

...

تجمهر الجيران حول البيت يشهدون تلك المأساة الرهيبة وكل منهم يحدث الآخر بما يتراءى له ولكن لم يخطر في بال احد من اولئك الناس ان يتمثل العمل السامي الذي اقدمت عليه العجوز باطلاق الرصاص على نفسها كيلا تتلوث يد ابنها بدم جريمة ...

واطل كثيرون من بين دفتي الباب فوجدوا المجنون راكعاً امام الجثة ينظر اليها بعينين متسعتين وخاليتين من الدموع ، والدم يشخب منها عند قدميه

وكأنه وهو في هذه الحال اتقد في ظلمات دماغه وهج من نور فصرخ بصوت غريب :

اماه ! اماه ! ... واذا بالحارس قد وصل اليه فوضع القيد في يديه وساقه عائداً به الى مستشفى المجانين.. المجانين القتلة .

السلام كمال اسعد حنبلي

مطبعة الدبور — بيروت